

## فنيات الاسترجاع في روايات الطاهر وطار ( الشمعة والدهاليز، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء )

أ. طيبون فريال  
جامعة الجيلالي اليابس- سيدي بلعباس

### الملخص:

يقوم هذا المقال بدراسة فنيات الاسترجاع في ثلاثية الطاهر وطار، فقد ساهمت هذه التقنية في تشكيل بنية النص و دلالاته في الروايات المدروسة، كما استطاعت أن تبين قدرة هذا الروائي الكبير و تمكنه من عنصر الزمن الذي لجأ من خلاله إلى تحقيق نوع من التوازي والتكافؤ بين الماضي و الحاضر، ليضيء من خلالهما صفحات من تاريخ الجزائر.  
**الكلمات المفتاحية:** الاسترجاع، روايات، الطاهر وطار.

### Abstract:

This article is going to deal with the techniques of the retrieval in the trio lology of El Tahar Watar , It also contributes in structuring the text and the symbolism in the studied novels,This article also prove the ability of dealing with the element of time in which he has been able to parallels between the present and the past to show this pages from the Algerian history.

**Key words:** the retrieval ,novels ,Tahar Watar.

يعتبر الزمن عنصرا مهماً في تأسيس العمل الروائي، لهذا فقد اكتسب مكانة كبيرة في الدراسات النقدية. يقول حسن البحراوي: « لم يعد أحد من النقاد المعاصرين يجرؤ على التشكيك في وجود العنصر الزمني كبنية قائمة الذات ضمن العالم الروائي »<sup>1</sup>.

والأديب يختار نقطة الصفر التي يبتدئ بها سرد الرواية، فيقدم ويؤخر ويعيد ترتيب الأحداث وفق ما تمليه عليه رؤيته الفكرية والفنية، وهذا التفاوت في ترتيب الأحداث يسمّى المفارقة الزمنية.

### 1- بنية المفارقات الزمنية في الخطاب الروائي:

- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، "الفضاء، الزمن، الشخصية"، المركز الثقافي العربي،<sup>1</sup> الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1990، صفحة 113.

إنّ التدخّل الزمني الذي يلغى التسلسل والترتيب لأحداث الرواية، يتم من خلال حركتين أساسيتين تتجه الحركة الأولى من الزمن الحاضر (حاضر الرواية) إلى الوراء حيث ماضي الأحداث وتسمّى تقنية الاستدكار (الاسترجاع)، أمّا الحركة الثانية تتجه من حاضر الرواية أيضاً لكن اتجاهها يكون إلى المستقبل وتسمّى تقنية (الاستباق)، يقول سعيد يقطين في كتابه "تحليل الخطاب الروائي": «يمكن تقسيم زمن النص إلى اتجاهين أساسيين للتواصل: الإخبار القبلي والإخبار البعدي. ومن خلالهما النظام الزمني.»<sup>1</sup> والمفارقة السردية «تحقق للرواية توازنها الزمني وفي نفس الوقت تخلّصها من نواقص الرتابة والخطية التي تتهددها في مختلف الأطوار ومن هنا أهميتها التي لا يجب أن تخفى علينا عند تحليل الزمن في الرواية.»<sup>2</sup> فالمفارقة الزمنية هي التي تمنح للخطاب الروائي حيويته وجماليته. وإذا كان الاستباق هو «كلّ مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثاً سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها»،<sup>3</sup> فهو توقّع وانتظار لما سيقع. فإنّ الاسترجاع يعدّ من أهمّ التقنيات الزمنية حضوراً في الخطاب الروائي، فهو يغلب في النصوص الروائية على الاستباق، كون هذه التقنية الأخيرة تتنافى مع عنصر التشويق.

## 2- زمن الاسترجاع:

هو أحد طرفي المفارقة السردية المشار إليها سابقاً، وهو عبارة عن عودة إلى الوراء إلى ما مضى من أحداث، فمن خلاله يتمّ قطع التسلسل الزمني لأحداث الرواية «لملء الفجوات التي يخلفها السرد وراءه سواء بإعطائنا معلومات حول سوابق شخصية جديدة دخلت عالم القصة أو بإطلاعنا على حاضر شخصية اختفت عن مسرح الأحداث ثمّ عادت للظهور من جديد.»<sup>4</sup> وكلّ حديث عن الاسترجاع كتقنية تبني زمن الرواية يقتضي الإشارة إلى أنواع له تحدد وفقاً لطبيعة العودة إلى الماضي التي قد تكون عودة إلى ما قبل بداية الرواية وينشأ عنها ما يعرف بالاسترجاع الخارجي وهو: «الذي تظل سعته السردية كلّها من خارج الحكاية الأولى»<sup>5</sup> فهو يبقى في جميع الأحوال،

<sup>1</sup> سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد-التبني)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الثالثة، 1997م، صفحة 72.

<sup>2</sup> حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، "الفضاء، الزمن، الشخصية"، صفحة 199

<sup>3</sup> المرجع نفسه، صفحة 132.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، صفحة 122.

<sup>5</sup> ابراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة-الجزائر، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م، صفحة 55

وكيفما كان مده خارج النطاق الزمني للسرد أي «يعود إلى ما قبل بداية الرواية»<sup>1</sup>.

أما إذا كان عودة إلى ماضي لاحق لبداية الرواية سمّي استرجاعا داخليا، وهو يختص باستعادة أحداث لها علاقة بأحداث الرواية الرئيسية وشخصياتها المركزية «أي أنه يسير معها وفق خطّ زمني واحد بالنسبة إلى زمنها الروائي»<sup>2</sup>. وقد يتم جمع النوعين ليتم الحصول على نوع ثالث يطلق عليه اسم الاسترجاع المزجي أو الاسترجاع المختلط وهو يجمع بين سابقه (الداخلي والخارجي). وعموما فإنّ « الاسترجاع بأنواعه الثلاثة يمثل جزءا هاما من النص الروائي، وله تقنياته الخاصة ومؤشراته المميزة ووظيفته التي تختلف من رواية إلى رواية»<sup>3</sup>.

وتسمّى الفترة التي يستغرقها الاسترجاع عند ارتداده إلى الوراء تاركا مسار السرد التصاعدي ب (مدى الاسترجاع)، والتباعد الكثير أو القليل عن لحظة القص هو الذي يحدد هذا المدى «وقد تظهر المدة واضحة للعيان من خلال الإعلان عن المدة الزمنية صراحة في حين لا يمكن كشف زمنية الاستنكار إلا من خلال مصاحبات الخطاب كالفرائن اللفظية على هذا المدى»<sup>4</sup>.

ويمكن القول إنّ العودة إلى الماضي تقدر مدتها باستعمال وحدات الزمن المعروفة أيام شهور، وسنوات هذا على محور الرواية، لكن إذا تتبعنا هذه الحركة نحو الماضي على محور الخطاب لوجدت إمكانية ثانية لقياسها اعتمادا على ما تشغله من المساحة المكتوبة من خلال ما يسمى (سعة الاستنكار). وذلك من « خلال المساحة الطباعية التي يشغلها في النصّ الروائي والتي تتفاوت من عدّة أسطر إلى عشرات الصفحات»<sup>5</sup>.

ويحقّق الاسترجاع وظائف عديدة فهو يمنح القارئ معلومات عن ماضي الشخصية، كما يساعد الاسترجاع على فهم مسار الأحداث وتفسير دلالاتها أو «العودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار الذي يفيد التذكير أو حتى لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية سواء بإعطاء دلالة لم تكن له دلالة أصلا أو لسحب تأويل سابق واستبداله بتفسير جديد»<sup>6</sup>.

1 أحمد قاسم سيزا، بناء الرواية (دراسة مقارنة ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، دط صفحة 40

2 المرجع نفسه، صفحة 40

3 المرجع نفسه، صفحة 40

4 حسن بحرأوي، بنية الشكل الروائي، "الفضاء، الزمن، الشخصية"، صفحة 123.

5 المرجع نفسه، صفحة 131.

6 المرجع نفسه، صفحة 122.

ومن هنا سأكتفي في هذا البحث عن فنيات الاسترجاع في روايات الطاهر وطار بدراسة نوعين من الاسترجاع (الداخلي و الخارجي) وذلك لكونهما التقنية السردية المهيمنة على مجمل البناء الزمني في مصادر الدراسة.

### 3- فنيات الاسترجاع في روايات الطاهر وطار:

إنّ الاعتماد على الذاكرة لعرض الاسترجاع من أبرز التقنيات التي نعثر عليها في نصوص (وطار) الروائية ، وخاصة ثلاثيته (الشمعة والدهاليز)، (الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي) و (الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء)، حيث استطاع هذا الأديب الكبير أن يوظف هذه الحركة الزمنية في المكان المطلوب، وهذا يدلّ على مهارته وتمكنه من تقنيات الزمن، التي تتداخل وتمتزج من دون أن يختل البناء الروائي.

### ج- الشمعة والدهاليز:

لقد نقلت رواية (الشمعة والدهاليز) الوقائع التي تزامنت وأحداث أكتوبر 1988م، فحاولت أن تبحث عن الأسباب التي أوصلت الجزائري إلى اتّخاذ العنف كوسيلة للوصول إلى السلطة، هذا العنف الذي أنهى حياة الشاعر بطل الرواية؛ يقول الطاهر وطار حول هذه الرواية «وقائع الشمعة والدهاليز، الروائية، تجري قبل انتخابات 1992م التي خلقت ظروفًا أخرى لا تعني الرواية في هدفها الذي هو التعرف على أسباب الأزمة وليس على وقائعها وإن كنت وظفت بعضها»<sup>1</sup>

إنّ سرد رواية (الشمعة والدهاليز) يبني على مستويين من الزمن، أحدهما سرد الأحداث الحالية الحاضرة التي تحدث للشاعر، وهو يحاول فهم ما يجري في شوارع مدينة الجزائر العاصمة، وثانيهما سرد للأحداث الماضية التي يسترجع فيها الشاعر وعمار بن ياسر طفولتهما وشبابهما.

وقبل الولوج في تحليل حركة الاسترجاع في هذه رواية كان لابدّ من الاستشهاد بقول الروائي الطاهر وطار حينما تكلم عن الزمن في هذه الرواية قائلاً: « الزمن ليس زمنًا تاريخيًا متسلسلاً، أو منطوقًا ومحسوبًا. إنه زمن أهل الكهف، زمن التذکر، والتنقل من هذه اللحظة إلى تلكم، ومن هذه الواقعة إلى تلك. ولقد تعددت حينًا واضطرتت حينًا آخر، إلى طيّ الزمن، وجعله وقتًا حلميًا، يقع في مناطق مظلمة ومناطق مضاءة، مناطق واعية ومناطق موهومة، الإحساس بها يغلب طولها أو قصرها.»<sup>2</sup>

يبدأ القص في رواية الشمعة والدهاليز من الزمن الحاضر (زمن الأحداث) وفيه يستيقظ الشاعر على أصوات تمزّق سكون الليل، تنطلق من ساحة أول ماي بالعاصمة حيث جرت مظاهرة سياسية احتجاجية لأنصار الحزب

<sup>1</sup> الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، موفم للنشر، الجزائر، دون طبعة، 2007م، صفحة 08  
<sup>2</sup> المصدر نفسه، صفحة 08

الإسلامي، مرددة شعارات واحدة "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، عليها نحيًا وعليها نموت وعليها نلقى الله"، فيغادر البطل منزله باتجاه ساحة أول ماي لمعرفة ما يحدث.

غير أن الشاعر سرعان ما يترك زمن الحاضر ليعود إلى الماضي ويسترجع أفكارا ترسبت في ذاكرته وشغلت حيزًا فسيحًا منها، وبالتحديد إلى القرية التي احتضنت طفولته حيث يكشف جانبًا من تاريخ عائلته الثوري، ومواقفها تجاه المستعمر كما هو الحال في هذا المقطع السردي الذي يصف فيه الشاعر أحد المشاهد الثورية البطولية التي شارك فيها: «كيف علم هؤلاء الناس بما جرى في الوادي، وقرروا في هذا الوقت القصير، أن عملية تمشيط كبرى ستجري بحثًا عني؟ هذه عادتهم، يتخفون لأيام في الغابات الوعرة، وينتظرون انفراج سحب غضب الجيش الفرنسي، ثم يتسللون عائدين عائلة فعائلة، وكثيرًا ما يجدون دورهم وأكواخهم قد أحرقت عن آخرها، فيعيدون كالنمل لم شتاتهم، واستئناف الحياة.»<sup>1</sup>

ويعدّ استرجاع الشاعر لذكرياته في أيام الصبا إبان الثورة التحريرية من بين الاسترجاعات الخارجية بعيدة المدى، حيث تعود لسنوات طويلة لم يحددها الشاعر وقد وصلت سعة هذه المفارقة الزمنية حوالي إحدى عشر صفحة تقريبًا (من الصفحة 34 إلى الصفحة 45) قام فيها الشاعر بسرد معاناة الجزائريين في عهد الاستعمار، وحجم المسؤولية الملقاة عليهم نساء ورجالًا من أجل تحرير البلاد من المستعمر الفرنسي.

ويواصل الشاعر استرجاعه فيتذكر أيام دراسته وكيفية التحاقه بالثانوية الفرنسية- الإسلامية بقسنطينة «قررت من تلقاء نفسي، أن ألتحق بالثانوية الفرنسية الإسلامية بقناعة داخلية بضرورة الإطلال على دهليز مظلم، يسלט عليه الفرنسيون الظلمة، ويحاول شيوخنا وعجائزنا، دون جدوى، في كل مرة إيقاد شمعة ما، للاستنارة بها.»<sup>2</sup>

وكان أيضًا هذا الاسترجاع ذو مدى طويل يعود لسنوات طويلة تعود لأيام الحرب التحريرية، وقد كانت سعة السرد أيضًا كبيرة (من الصفحة 47 إلى الصفحة 63) حوالي سبعة عشر صفحة.

ومن خلال زمن لا محدود تنطلق الذاكرة من خلال الاسترجاعات المتواصلة، فيتذكر البطل على ألحان الرقصة الفلكلورية "مرواح الخيل" حفل اختتام السنة الدراسية في الثانوية وكيف أدّى هذه الرقصة التراثية، التي عمد من خلالها إلى التعبير عن وطنيته وحبّه للجزائر «إمّحى، في هنيهات قلائل، كلّ من كان هنالك، حتّى الزمان والمكان. فقط. كان البرنس يتطاير يمينا

<sup>1</sup> المصدر نفسه، صفحة 42

<sup>2</sup> المصدر نفسه، صفحة 49

وشمالاً، يعلو وينخفض، والرأس المغطى بعمامة بيضاء عليها خيط وبر، وضع في شكل لجام يهترّ في حركات رشيقة»<sup>1</sup>. وكان ذلك من (الصفحة 67 إلى الصفحة 77) أي حوالي عشر صفحات؛ ويلاحظ أنّ الكاتب في رواية (الشمعة والدهاليز) لم يَقم بتحديد السنوات التي جرت فيها أحداث السرد بدقة، وإنما اكتفى بتحديد مراحل العمر حيث الصبا ومرحلة الشباب.

يشير نور الدين السد « أنّ الاستنكار الخارجي يقف إلى جانب الأحداث والشخصيات ليزيد في توضيح الأخبار الأساسية في القصة، وفي إعطاء معلومات إضافية تتيح للقارئ فرصة جديدة في فهم هذه الأخبار. »<sup>2</sup> لقد ساهم هذا الاسترجاع ذو السعة الكبيرة في تعميق معرفة القارئ بشخصية الشاعر من خلال التعرف على ماضيه، فاتضحت العديد من الأمور التي تعمق الفهم لهذا الماضي المليء بمختلف الأحداث التي عاشتها الشخصية في طفولتها؛ كما أنّ البطل لجأ إلى الاسترجاع رغبة منه في الانطواء في داخله حين فقد الطمأنينة والأمان في حاضره.

وفي شقّ آخر يلاحظ استخدام الاسترجاع من خلال إقحام **عمار بن ياسر** في النص هذه الشخصية التي تمثل الشاب الحامل لأفكار جديدة والذي يقف في مواجهة والده الذي يمثل جيل الثوار والمجاهدين الذي قدّموا الكثير من أجل الجزائر من معارك وبطولات. والذي سرعان ما تغير بعد الاستقلال فاستسلم لدهاليز المصلحة ليحصل « في كلّ مدينة كبيرة على محل أنشأ فيه تجارة وضع فيه شريكا أو أحيرا. هنا مقهى، هناك خمارة، أو كشك لبيع التبغ والجراند. بين هذه المدينة وتلك، رخصة لنقل المسافرين مع الحافلة. معمل في هذه الناحية لصناعة البلاط أو الطوب الإسمنتي، وآخر في الناحية الأخرى للنسيج أو للحلوى. دشّن حياته التواطؤية بتطليق أمي، بعد أن وضعني جنينا في أحشائها»<sup>3</sup>

وفي مقطع آخر يواصل **عمار بن ياسر** سرد ماضيه بمختلف أطواره من الطفولة إلى المراهقة إلى فترة الشباب ودخوله الجامعة « انسقت بسرعة لأوّل داعية، وتفرغت لهما معا، الدراسة التقنية، والتفقه في الشريعة. لتكن البداية من البداية الفعلية، إعادة الأمور إلى نصابها، العودة إلى نقطة الصفر، ثمّ الانطلاق.»<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المصدر نفسه، صفحة 74

<sup>2</sup> نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ج2، ط2، 1997، ص 192.

<sup>3</sup> الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، صفحة 85

<sup>4</sup> الطاهر وطار، الشمعة والدهاليز، صفحة 90

وقد استغرق هذا الاسترجاع حوالي ما يقارب أربعة عشر صفحة ( من الصفحة 80 إلى الصفحة 94) أي ذو سعة كبيرة، ركّز فيها السارد على ماضي الشخصية، وقام فيه بتحديد أبرز ملامحها بأسلوب إيحائي. والمتأمل لتذكر عمار بن ياسر يجد بعض الاسترجاعات الخارجية بعيدة المدى كذكره للثورة ومشاركة والده فيها وطفولته فهي هنا تمتد لسنوات طويلة، وهناك أيضا استرجاعات خارجية قصيرة المدى ومن ذلك المقطع الأخير الذي يحكي فيه للشاعر كيفية تفقهه للشريعة وتحوله إلى داعية ثم إلى قيادي في حركة دينية متطرفة.

فعمار سرد على الشاعر ماضيه البعيد والقريب أيضا، وأسباب التحاقه بالحركة هو كونه كان يرى في أبيه امتدادا للمستعمر، كونه استغل نفوذه وماضيه النضالي ليتحول في الحاضر إلى جيل مستبد بخيرات الوطن.

لقد حاول الطاهر وطار من خلال استرجاع كل من الشاعر وعمار بن ياسر أن يضيء للقارئ ماضي الثورة التحريرية وكيف استبدّ بعض الناس بثروات الجزائر بعد الاستقلال بحجة الجهاد وتحرير الوطن، كما كانت رؤية مقارنة بين تاريخ الجزائر في مرحلة الثورة وتاريخها المعاصر بعد الاستقلال يقول حكيم أومقران: «بعد مرور أزيد من ثلاثة عقود من التحرر السياسي فإنّ الجزائر، لم تتحرر كمجتمع، ولم يرق تحررها إلى مستوى الفعالية التاريخية والحضارية. لذا كانت عملية التحول والانقلاب التي حدثت في الخامس من أكتوبر عام 1988، نقطة لتخليص المجتمع من مواجهته المأساوية التي كانت قائمة بين المجتمع وبين نظام الدولة وسلطتها القمعية. إلا أن هذا التخليص أرجع المجتمع إلى نقطة الصفر.»<sup>1</sup>

فالزمن الماضي عبر تقنية التذكر يعبر عن تناقضات الحاضر، وكأنّ الروائي أراد من خلال تقنية الاسترجاع أن يقدم الأسباب الأساسية لظهور التطرف الديني في الجزائر.

#### د-الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي:

تأتي رواية الطاهر وطار (الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي) لتعالج مرحلة حساسة عاشها المجتمع الجزائري، وهي مرحلة الإرهاب التي ارتكبت من خلالها جرائم فظيعة في حق الإنسانية؛ لقد حاول الروائي الكشف عن الحيل التي يتخذها المتطرفون في استخدام الدين لأغراض سياسية، تؤدي بهم لتحقيقها إلى ممارسة العنف والقتل.

ولقد عبّر عن ذلك الكاتب في بداية الرواية، تحت عنوان كلمة لا بد منها قائلا: «(...) لعنني حاولت الإجابة قدر الإمكان عن أسئلة طرحتها الشمعة

<sup>1</sup> حكيم أو مقران، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية (الطاهر وطار)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران- الجزائر، 2005م، دطه صفحة 195-196.

والدهاليز، وي طرحها أصدقائي وخصومي حول موقفي من الأحداث، منذ انهيار الاتحاد السوفياتي إلى اليوم.»<sup>1</sup>

وعودة إلى موضوع الدراسة وهو الزمن في هذه الرواية، فبالنسبة إلى زمن كتابة الرواية فهي تمثل فترة ما بين 1993م وصيف 1999م، أي أنها استغرقت ست سنوات، وتأكيدا على ذلك ما جاء في إحدى رسائل الشاعر عبد الله عيسى لحيلج بتاريخ 27 جوان 1999م، والتي جاء فيها ما يلي: «سيدي الكريم. يشهد الله أنني كنت أحب التسامح وأمارسه من قبل، وكنت أدافع عما أراه حقًا بحماس فياض وصدق عميق وتجرد كامل، وصرت الآن -بعد ست سنوات من الحرب- أعشق التسامح! ... لماذا؟ لأنه لا يقدر فضيلة التسامح إلا من كان ضحية الحقد...»<sup>2</sup>

إنّ المتمعن في رواية (الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي) يدرك أنّ الأحداث فيها لا تقدم وفق ترتيب متسلسل بحيث ينطلق فيه الماضي إلى الحاضر فالمستقبل، بل إنّ الزمن في الرواية يتداخل ويتغير بالتقدم والتأخر عبر المسار السردي. حيث يتم الانتقال من زمن السرد في الخطاب الروائي (زمن الوقائع) إلى الماضي عبر المفارقات الاسترجاعية

في بداية الرواية يظهر الولي الطاهر وهو تائه في صحراء شاسعة باحثا عن مقامه الزكي، الذي فقده وفقد معه ذاكرته، والتي بدأ تدريجيا في استعادتها «ذاكرة الولي الطاهر تستعيد صوراً وأخيلة، عن وقائع جرت، لكن لا يميز، أو حتى يتصور زمن وقوعها، الأمس واليوم والسنة الماضية، والقرن الماضي، كلّها، آن، قد يصغر وقد يكبر، قد يطول وقد يقصر.»<sup>3</sup>

ليجد البطل نفسه يعود إلى الماضي البعيد خلال بدايات العهد الإسلامي والفتوحات الإسلامية يقول الولي الطاهر «ننهض هؤلاء المستكينين الجهلة الأذلاء، ونبدأ من حيث بدأ العرب الأوائل. نعيد الجهاد في سبيل الله، إلى ما كان عليه، ونستأنف الفتوحات. نستعيد القسطنطينية، والمغرب والأندلس، ونصل هذه المرّة، موسكو وباريس وكوبنهاجن، والهند والسند وكلّ العالم. يدخل الناس أفواجا في دين ربّهم أو يدفعون الجزية.»<sup>4</sup>

ومرّة أخرى يجد نفسه مشاركا في حروب الردّة و شاهدا على حادثة مقتل مالك بن نويرة على يد خالد بن الوليد يقول في هذا الصدد: «ظلّ زيد بن الخطاب ينادي، وراية خالد بين يديه: أما الرجال فما رجال! وأما الرجال فما

<sup>1</sup> الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، دون

طبعة، 2004م، صفحة 11

<sup>2</sup> المصدر نفسه، صفحة 116

<sup>3</sup> المصدر نفسه، صفحة 20

<sup>4</sup> المصدر نفسه، صفحة 57-58

رجال! اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة،  
ومُحکم بن الطفيل. كان يتقدم بالراية في نحر العدو وهو يلهج، ويضارب  
بسيفه ويضارب، حتى قُتل رحمه الله»<sup>1</sup>

وهي استرجاعات خارجية بعيدة المدى تعود لأكثر من ألف سنة، وسعة  
هذه الاسترجاعات تتراوح بين الصفحتين أو الثلاث، وتقريبا هي موجودة في  
كل الرواية.

وهناك أيضا استرجاعات ذات مدى قريب، كما هو الحال حينما يصف  
الولي الطاهر أحداث مصر وتفجير حافلة السياح يقول: «الحافلة، تقترب،  
راكبوها منتشون بما شاهدوا من إطلاقات ماض، أنجزه أجداد هؤلاء الذين  
صارت رقابهم اليوم تحت أقدامنا (...) أطلقت الرصاص أطلقت. أطلقت.  
أطلقت. وثبت إلى الأرض. قذفت بقارورة المولوطوف، ارتفع الدوي. اصّاعد  
الدخان والصيحات. رنت زغاريد في البعد، ناحت أبواق سيارات الإسعاف.  
»<sup>2</sup> وسعة هذا الاستذكار الخارجي أربع صفحات.

كذلك استرجاع الولي الطاهر لحادثة وقعت له قبل هذا التيهان الذي حدث  
له في الفيف قائلا وهو يعود بذاكرته لواقعة "بلارة": «امتدت يداه معا فسلّنا  
قرطين من أذنيها، وسال الدم على عنقها الطويل الرفيع. تأوهت متألمة. ظلت  
لحظات تتأوه ثم راحت كلما أشهقت متأوهة، تختفي في ضباب رمادي، إلى  
أن غابت نهائيا». <sup>3</sup> وسعة هذا الاستذكار كبيرة فهي تقريبا أكثر من عشرين  
صفحة (من الصفحة 59 إلى الصفحة 80)

وكذلك العودة بالذاكرة إلى استرجاع ماضي قريب وهو مجزرة حيّ  
(رايس حميدو) والذي تصوّر فيه الولي الطاهر نفسه مشاركا فيها «المدخل  
الرئيسي لغموه، واكمنوا حوله. كل من يقدم، أصلوه ناراً. المنافذ الأخرى  
للحي، سدوها بكل الوسائل، لا داخل ولا خارج. ولا حي في الحي»<sup>4</sup> وهو  
استرجاع خارجي ذو مدى قريب سعته ثماني صفحات (من الصّحة 84 إلى  
الصفحة 91)

لقد جعل الكاتب شخصية الولي الطاهر في هذه الرواية تعيش حالات  
زمنية متداخلة من ماض وحاضر ، فزمن الولي الطاهر صوفي « هلامي  
يسبح فيه بطلاقة. طلاقة الروح المقيمة في كلّ زمان. المتمردة عن الأمكنة  
والأحيزة. فهي روح تنتقل من زمن إلى زمن ومن ضيق زمن الناس إلى زمن

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، صفحة 37-38

<sup>2</sup> الطاهر وطار، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، صفحة 51-52

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، صفحة 80

<sup>4</sup> المصدر نفسه ، صفحة 85.

أرحب. وتلك حياة الروح لا حياة الجسد الذي تتأقل إلى الأرض بسبب  
خصيسته الطينية.»<sup>1</sup>

فهو يرى أشياء كثيرة في لمحة واحدة، يتذكر موت مالك بن نويرة،  
ويعيش أحلام يقظة مع بلارة، يغادر من زمن الحاضر ليجد نفسه في زمن  
الماضي رفقة خالد بن الوليد ثم إلى القاهرة، وصولاً إلى حي الرايس بالجزائر  
العاصمة.

إن هذه الرواية عبارة عن ملحمة لكثرة أحداثها وتشابك زمنها، الذي أخذ  
الاسترجاع منه حظاً وافراً ساهم في إبراز بعض الحقائق التاريخية، وتمثل  
ذلك في بعض الأحداث مثل: حروب الردة وحادثة قتل خالد بن الوليد لمالك  
بن نويرة، وذكر شخصيات من التاريخ العربي الإسلامي والجزائري أيضاً  
مثل: زيد بن الخطاب، محكم بن الطفيل، بلارة بنت تميم، الناصر بن علناس،  
مسيلمة، أم تميم وغيرهم، وكل هذا يعبر عن إيمان الكاتب بأن التاريخ لا يعيد  
إلا نفسه، فما هو عليه العرب اليوم من إرهاب هو في الحقيقة موجود منذ  
زمن طويل.

#### ه- الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء:

والتي قال عنها الطاهر وطار وعن ارتباطها بالروايتين السابقتين  
(الشمعة والدهاليز) و(الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي): «الموضوع  
واحد، والشخص هم، بأسمائهم وصفاتهم، وبخصوصياتهم. لقد استعملت  
عبارة جزء، بدل عبارة الكتاب الثاني، ولم لا، فقد أكون بصدد كتابة رواية  
واحدة، كلما تعبت، وضعت لها عنواناً جديداً...»<sup>2</sup>

إن زمن كتابة الرواية كما حدده الروائي بتوقيعه في آخر الرواية هو 21  
أوت 2004م أي بعد اجتياح أمريكا للعراق، وفي ذلك علق الروائي نفسه على  
ذلك في قوله في مقدمته التي جاءت تحت عنوان تأشيرة عبور التي قال فيها: «  
لم أكن إطلاقاً، أنوي كتابة رواية هذا العام، فلدي مشاريع قصص قصيرة،  
يلازمني بعضها منذ ما يزيد عن عشر سنوات، بالإضافة إلى إرهاق سنة  
كاملة من الجهد في الجاحظية، لكن ضغط الظروف العالمية، والوضعية في  
العراق والعالم العربي الإسلامي، فرض علي رواية، لم أعيشها، سنوات  
عديدة، كما هو الشأن لباقي أعماله»<sup>3</sup>

عبد القادر عميش، شعرية الخطاب السردي (سردية الخبر)، دار الأمل للطباعة والنشر<sup>1</sup>

والتوزيع، تيزي وزو- الجزائر، دون طبعة، 2012م، صفحة 17

<sup>2</sup> الطاهر وطار، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، دون طبعة،

2005م، صفحة 08

<sup>3</sup> المصدر نفسه، الصفحة 08

لقد استطاع الروائي من خلال هذه الرواية أن يحقق بعضاً من مقاصده ومنها فضح بعض الأنظمة العربية، إظهار واقع المجتمع العربي وخاصة في علاقاته الدولية وحتى الداخلية.

ويبرز الاسترجاع في هذه الرواية بوضوح في الأقسام الأولى للرواية، فهو يظهر من خلال مساحات حاضرة في الرواية ويبدأ في القسم الأول " التحديق في الزمن " وقد غطت سعته أربع صفحات وهو استرجاع ذو مدى قريب وبدأ بعد وصول الولي الطاهر إلى مقامه الزكي، حيث بدأ يتذكر بلارة وآخر لقاء له بها في الصفحات من الثانية عشرة إلى الخامسة عشر، (12-15) من الرواية.

وفي ذلك يقول: «وميض. وميض. مناظر تتشكل، وتختفي. هاهي بلارة بنت تميم بن المعز تعاوده، كما خاض المعركة الفاصلة معها، وليس كمجرد رغبة، ظلت تدفعه في الفيف سعيًا وراء لاشيء. الماضي، يغرق في الضباب. بل إنه يومض.»<sup>1</sup>

في حين أن القسم الثاني " التارجح المتقاذف "، قد غطت سعته سبع صفحات، أما القسم الثالث تحت عنوان " العكس أصح " فقد غطت سعته صفتين. وهو استرجاع ذو ماضي بعيد.

وقد اعتمد الكاتب على الاسترجاع في القسمين الأخيرين ليحقق من خلاله نوعاً من التوازن بين الماضي والحاضر، فهناك ذهاب ومجيء في التاريخ العربي والإسلامي من بداية الدعوة الإسلامية إلى سقوط العراق على يد الأمريكيين يقول الراوي:

« تروح الأرجوحة. تجيء الأرجوحة. تنزل الكرة. ترتفع الكرة. شبه دوران للمكان داخل الزمان، وللزمان داخل المكان، في دوامة عرضها من نهر السنغال إلى دكة، وطولها من معركة بدر، إلى مثول صدام حسين أمام المحكمة»<sup>2</sup>

وكل ذلك بهدف الكشف عن الواقع العربي وفهم حال العرب عن طريق استقراء التاريخ الإسلامي يقول الراوي «لم يبق سوى الاستيعاب. استيعاب ما حدث طوال خمسة عشر قرناً، واستيعاب حال العرب، وحال المسلمين عموماً.»<sup>3</sup>

ويلاحظ أنّ الاسترجاع موجود في بداية الرواية فقط، خاصة في الأقسام الثلاثة الأولى، ويتوقف بمجرد ظهور شاشة العرض واجتياح موجة الظلام

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، صفحة 15

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، صفحة 18

<sup>3</sup> المصدر نفسه ، صفحة 20

الدامس للمنطقة العربية." أحسنّ الولي الطاهر بيدين لطيفتين، تحملا، وتجلسانه على عرشه في مقامه الزكي، فينفتح تلفاز شاشته، لا يحدها نظر.<sup>1</sup> ويمكن حصر وظائف هذا السرد الاسترجاعي في وظيفتين الأولى وهي البدء من حيث انتهت الرواية السابقة الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي، أمّا الثانية فهي الإخبار عن التغيير الذي حدث مع الولي الطاهر فبعدهما كان تأنها يبحث عن مقامه الزكي في الرواية الأولى، يعود في الرواية الأخيرة إلى مقامه ليشارك ويعايش الحالة المزرية السوداوية التي يعيشها العرب. ولقد استطاع الكاتب أن يُجري أحداث روايته في لحظات ليس لها أيّ ديمومة، كونه الزمن الصوفي الذي لا ينحصر في لحظة راهنة بل يتميز « بتكسيه لحدود الزمن الطبيعي ونقضه لحركته المطردة في تتابعها، فهو إذن يرغم هذه الحركة على تغيير مسارها وعكسه، يخلق نظامه الزمني الخاص، القابل للاستعادة على الدوام.»<sup>2</sup> فهو يقرأ التاريخ غير منفصل وكان الأزمنة مستوية.

في الأخير يمكن أن نستخلص أنّ تقنية الاسترجاع كانت واضحة وجلية في ثلاثية الطاهر وطار، لكونها من سمات الرواية الحديثة، التي تقوم على استرجاع الماضي وجدله مع الحاضر، وقد استطاعت هذه التقنية أن تبين مقدرة هذا الروائي الكبير، وتمكنه من عنصر الزمن الذي استطاع من خلاله، أن يحقق نوعاً من التوازي بين الماضي والحاضر.

المصدر نفسه ، صفحة 29<sup>1</sup>

وفيق سليطين، الزمن الأبدى/ الشعر الصوفي (الزمن، الفضاء، الرؤيا)، دار المركز الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2007م، صفحة 26.<sup>2</sup>